

الوجود الإلهي في فلسفة كانط النقدية

رسالة تخرّجتها بها الطالبة:

زينب والحي شويح

إلى مجلس كلية الآداب الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل

شهادة الماجستير آداب في الفلسفة

إشراف

أ.م.د. أحمد شيال غضيب

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية المطاف .. فيما يخص بحثنا هذا، أصبح من الضروري ، أن نحصي مجمل النتائج العامة، لكي نختم بها هذا البحث ، وتتمثل هذه النتائج بالاتي: -

١- إن موضوع الوجود الإلهي ، له أهمية كبيرة جداً بالنسبة للعقل البشري ، سواء في المجال الإنساني بصورة عامة أم في المجال الفلسفي ، ففي المجال الإنساني على نحوٍ عام ، أثبتت بقايا المعابد والهيكل وأماكن العبادة المختلفة منذ أقدم العصور ، إن الإنسان منذ أن وجد على الأرض اهتم بالوجود الإلهي لكي ينسب له أسباب وجود الطبيعة بظواهرها المختلفة من العواصف والأمطار والبراكين ... الخ ، وكذلك للبحث عن سبب وجوده أيضاً (بغض النظر عن القول بتعدد الآلهة أو أنواعها المختلفة في تلك الحقبة الزمنية المبكرة ، فمنهم من كان يعبد الشمس أو القمر أو الكواكب ... الخ ، ما يهمننا هو وجود بواذر تقول بضرورة التواجد الإلهي بالنسبة للإنسان) .

أما في المجال الفلسفي فقد اهتم الفلاسفة بموضوع الوجود الإلهي ، ومنذ ظهور أولى بواكير التفلسف ، فقد رأينا كيف اهتم هزيود وهوميروس بوجود الآلهة وعلاقتها بالطبيعة وبالإنسان ، وكان لهم تنظير حول تلك المسائل .

٢- بعد نزوح الفلسفة اليونانية على يد كل من أفلاطون وأرسطو ، أصبحت الإلوهية أكثر تنظيماً من قبل ، ذلك بعد أن صُقلَ العقل الإنساني وتعدى المرحلة الميثولوجية التي كان يمر بها ، وعلى الرغم من انه لم يرد مفهوم (الله) بتلك التسمية الواضحة ، بسبب طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه كل من أفلاطون وأرسطو ، (حيث أطلق أفلاطون تسمية الصانع على الله ، بينما اسماه أرسطو المحرك الأول) ، إلا أن مفهوم الكائن اللامتناهي بوصفه سبب وجود الكون بما فيه من موجودات ، قد قطع شوطاً كبيراً في المجال الفلسفي ، حيث عدت الإلهيات ضمن مبحث الميتافيزيقا ، واعتبرت من اشرف العلوم ، لان شرف العلم من شرف

٣- في العصر الأوربي الوسيط ، أصبح للتفلسف طريقة تختلف عما سبقها ، فبسبب سيطرة المسيحية كديانة وكفكر ، أصبح كل شيء - من وجهة نظر فلاسفة ذلك العصر - يرتبط ارتباطاً مباشراً بالوجود الإلهي ، بمعنى آخر فإن الفلسفة المسيحية الوسيطة في جوهرها ليست إلا محاولة للتوفيق بين العقل والنقل ، بين طريق الوحي وطريق التعقل ، بين الوجود الإلهي والوجود الإنساني ، وبذلك فقد كان للعنصر الديني السيطرة الكاملة على زمام الأمور في تلك الحقبة ، وطبعاً من الجدير بالذكر إن فلاسفة ذلك العصر أقرّوا بوجود اله واحد لا شريك له ، وذلك بحكم الديانة المسيحية التي ينتمون إليها والمستمدة من كتاب الله المنزل (التوراة) .

٤- تختلف آراء ومواقف الفلاسفة ، بحسب اختلاف العصور التي يعيشون فيها ، وطبعاً هذا الكلام ينطبق على فلاسفة العصر الحديث بشكل كبير ، لان العصر الحديث الذي أعقب عصر النهضة شهد تغييراً كبيراً في كافة مجالات العلم والمعرفة الإنسانية وكان لابد من أن تلقي كل تلك التغييرات بظلالها على الواقع الفلسفي لتلك الحقبة ، وبالتالي فإن فلاسفة العصر الحديث أرادوا تغيير المبادئ التي استندت إليها الفلسفة الوسيطة ، وكان من بين الأمور الأساسية التي أرادت الفلسفة الحديثة تغييرها وتخليصها من آثار العصر السابق ، كانت هي الأمور الميتافيزيقية، التي غلب عليها الطابع الديني المستند إلى عقائد المسيحية ، بمعنى آخر فإن الفلاسفة المحدثين أرادوا تخليص الفلسفة من سيطرة الدين والكنيسة التي سادت لمدة طويلة ، وتبعاً لذلك نجد في تلك المرحلة الجديدة إعطاء الأولوية للعقل في تفسير الأمور .

٥- أما عن كانط ، فيلسوف كونجسبرج ، الفيلسوف النقدي ، فقد كانت له آراء مختلفة عن فلاسفة عصره ، حول المشكلات الميتافيزيقية ، ببساطة انه حاول وضع حلول (ضمن نسق فلسفي متكامل الأبعاد) للمشكلات الميتافيزيقية لاسيما مشكلة الوجود الإلهي ، وذلك برفض الميتافيزيقا التقليدية و تأسيس ميتافيزيقا جديدة قائمة

على مبدأ النقد ، لتخليص الميتافيزيقا مما علق بها من الآراء القطعية الدوجماتيقية التي سادت لمدة طويلة جداً ، وأثقلت كاهل العقل بأسئلتها ذات الأبعاد الواسعة وإجاباتها المحدودة .

وصفوة القول فهناك عاملان كان لهما الأثر المباشر على كانط بشأن ما ذكرناه أعلاه ، وهما :-

أ - النزعة التقوية التي ترعرع فيها كانط ، والتي تلقاها على يد والدته وأستاذه في الجامعة ، والتي كانت تؤكد على رفض المواقف الدينية الدوجماتيقية المتطرفة ورفض كل أشكال الطقوس والعبادة الخارجية ، والدعوة إلى إحياء المسيحية الخالصة وتقديسها للواجب الأخلاقي ، وبذلك نلاحظ تأثير كانط الكبير بتلك النزعة في بداية حياته ، وكذلك نلاحظ بأن مواقفه الفلسفية التي جاءت في وقت متأخر من حياته أيضاً متأثرة إلى حد ما بتلك النزعة ، بمعنى أن فلسفة كانط (لاسيما الدينية) هي ترجمة فلسفية للنزعة التقوية .

ب - العصر الذي عاش فيه كانط ، هو الآخر كان له تأثيره على فكر كانط ، فقد اطلع القارئ (لبحثنا هذا) إن كانط عاش في عصر التنوير ، ذلك العصر الذي اعتبره الكثير من الباحثين بمثابة انجلاء لكل مفاهيم العصور السابقة ، وبزوغ عصر جديد ، وكان كانط فيلسوف التنوير الأول ، حيث استندت فلسفته النقدية في جوهرها إلى المشروع التنويري وخصوصاً فيما يتعلق بالمشكلات الميتافيزيقية .

٦- وجود الله بالنسبة لكانط لم يكن مجرد موضوع أو مشكلة يمكن حلها بمجموعة من الآراء والمواقف الفلسفية ، وإنما كان موضوع الوجود الإلهي بالنسبة لكانط موضوع ذو أبعاد فلسفية ولاهوتية كبيرة ، وما يدل على كلامنا هذا ، هو الطرح الكانطي لتلك المشكلة ، حيث نجد أنه ما من كتاب من كتبه النقدية ، قد خلّت من ذلك الموضوع .

٧- تناول كانط في كتابه النقدي الأول (نقد العقل المحض) موضوع الوجود الإلهي بوصفه مشكلة اللاهوت العقلاني ، وكانت من أهم مهامه في ذلك

المجال هو نقد اللاهوت العقلي ، فقد نقد كل الأدلة العقلية في إثبات وجود الله ،

وسعى إلى إثبات عدم قدرتها على تحقيق هدفها في الوصول إلى الموجود الأسمى .

٨- نقل كانط مشكلة وجود الله ، من العقل النظري إلى العقل العملي ، بعد إثبات عدم قدرة العقل النظري في الوصول إلى معرفة ذلك الوجود (لان العقل الإنساني محدود بالظاهر فقط ولا يمكنه أن يصل إلى الشيء في ذاته) ولذلك حاول كانط أن يجد حلًا لَمشكلة الوجود الإلهي في المجال العملي للعقل ، وتمثل ذلك الحل في اعتبار إن مشكلة الوجود الإلهي ، إحدى مسلمات العقل العملي عن طريق كتابه (نقد العقل العملي) ، أي إن المشكلات الميتافيزيقية الكبرى والمتمثلة بـ (الحرية وخلود النفس ووجود الله) ، أحالها كانط من مشكلات للعقل النظري إلى مسلمات للعقل العملي ، وبالتالي فقد اثبت كانط وجود الله عن طريق تحقيق القانون الأخلاقي، بمعنى انه لا يمكن إثبات وجود الله إلا عن طريق الخير الأسمى .

٩- ثم عاد كانط مرة أخرى في كتابه النقدي الثالث (نقد ملكة الحكم) لكي يقر بأن مشكلة الوجود الإلهي لا تقع ضمن مجال الغائية الطبيعية بل تقع ضمن مجال الغائية الأخلاقية .

١٠- نلاحظ من كل ما تقدم بأن موضوع الوجود الإلهي هو من الموضوعات الأساسية التي حاول كانط من خلالها ربط مشروعهُ النقدي التنويري بأقسامه الثلاث ، نقد العقل المحض والعملي والغائي .